

ALL !N مع جوردان إيزلي

ماذا يقول الكتاب المقدس حقًا عن السماء

السماء < الجحيم | الجزء الأول | رؤيا ٢: ٢١-٣

مقدمة

اليوم نبدأ سلسلة جديدة اسمها «السماء < الجحيم»، والهدف بسيط: أن ننظر إلى الأبدية نظرة صادقة وكتابية — لا من منظور الثقافة أو التقليد، بل من منظور كلمة الله. في الأسابيع القادمة سننظر إلى ما يقوله الكتاب المقدس حقًا عن السماء، ثم عن الجحيم — لا لتخيف أحدًا ولا لتُهَوِّل الأبدية، بل لتُظهر بوضوح لماذا تستحق السماء الاشتياق، ولماذا فعل الله، بمحبته، كل ما يمكن ليوصلنا إليها. لأن الأبدية حقيقية، والسماء حقيقية، والجحيم حقيقي، وأكثر ما تفعله الكنيسة محبة هو أن تتكلم بصدق ووضوح عن كل ذلك. لكننا نبدأ من هنا، لأنه قبل أن نفهم ما هي السماء، علينا أن نُوضِّح ما ليست هي — أحيانًا أكبر عائق للحق ليس الجهل، بل المعلومات المغلوطة.

اسأل أيٍّ أحدٍ تقريبًا كيف هي السماء وستسمع أجوبة تتراوح من «الجلوس على الغيوم والعزف على القيثارات» إلى «مجرد كنيسة، لكن أطول» أو «لقاء عائلي لا ينتهي» (وهنا السؤال الصادق: عائلة أيٍّ طرف؟). معظم الناس لا يرفضون السماء — بل لا يعرفون ما يقوله الكتاب عنها، فيُخَمِّنون، ويأملون، ويتخيلون. لكن هذه هي البشارة: لسنا مضطَّرين للتخمين. لم يترك الله السماء غامضة أو مُبهمة؛ بل أراح الستار بما يكفي لنرى ما نحتاج أن نراه ونملك الرجاء الذي نحتاجه. وهذا مهم — إن اختزلت السماء إلى رسم كرتوني، فلن تشاق إليها أبدًا؛ وإن لم تشاق إليها، فلن تعيش لأجلها؛ وإن لم تعيش لأجلها، فلن تدعو إليها أحدًا آخر. فاليوم يُبطل ست خرافات — ستة أمور لا يقولها الكتاب عن السماء.

النقاط الرئيسية

١. الكتاب لا يقول إننا نصير ملائكة

جميعنا سمعنا «السماء ربحت ملاكًا آخر» أو «الجدَّة نالت جناحيها» — كلمات صادقة يُقصد بها التعزية، لكنها ليست كتابية. يرسم الكتاب خطأ واضحًا بين الملائكة والبشر: الملائكة كائنات مخلوقة، «أَرْوَاحٌ خَادِمَةٌ مُرْسَلَةٌ لِلْخِدْمَةِ لِأَجْلِ الْعَبِيدِ أَنْ يَرْتَوْا الْخَلَّاصَ» (عبرانيين ١: ١٤). إنهم يخدمون المُفْتَدِينَ؛ وليسوا هم المُفْتَدِينَ. لا تنبت لنا أجنحة ولا تتغيَّر جنسًا حين نموت — بل يقول بولس أمرًا مفاجئًا: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّنَا سَنَدِينُ مَلَائِكَةً؟» (١ كورنثوس ٦: ٣). للبشرية المُفْتَدَاة دعوة أعلى من الملائكة، لأن الملائكة، مهما كانوا أقوياء ومطيعين، لم يعرفوا قطَّ النعمة، ولا الغفران، ولا التَّبْيُّ، ولا أن يصيروا وَرَثَةً مع المسيح. فأن نصير ملاكًا لن يكون ترقية — بل تنزيلاً. في السماء لا نفقد

بشرّيتنا؛ بل نراها أخيرًا مُفْتَدَاة — إذ نصير كل ما قصده الله، أبناءً وبناتٍ مُرَمِّمين تمامًا يعكسون نعمته إلى الأبد.

٢. الكتاب لا يقول إن السماء مُملّة

كثيرون منّا نشأوا وهم يخافون سرًّا أن نعيش حياتنا كلها لأجل يسوع، ثم نموت، ثم نُصاب بالملل إلى الأبد — خدمته كنسيّة طويلة، هادئة، لا تنتهي، حيث أنت دائمًا على وشك أن تقع في مشكلةٍ لأنك مرحت. لكنّ تلك الفكرة لم تأت من الله. «تُعَرِّفُنِي سَبِيلَ الْحَيَاةِ. أَمَامَكَ شَبَعٌ شُرُورٍ. فِي يَمِينِكَ نَعْمٌ إِلَى الْأَبَدِ» (مزمور ١٦: ١١). هذه ليست كلماتٍ مُملّة — لا يعد الله بسعادةٍ محتملة، بل يعد بشبّع سرور ونعمٍ إلى الأبد. الله ابتكر الفرح؛ خلق الضحك، والألوان، والموسيقى، والجمال، والاحتفال، فلا معنى أن يكون مكان حضوره الكامل أقلّ فرحًا من العالم المكسور الذي صنعه. كل أمرٍ صالحٍ تمتعت به هنا هو مجرد لمحة — حواسك الآن مسقوفة عند «عشرة»، لكن يومًا ما يُرفع الغطاء. السماء ليست غياب الفرح؛ بل ذروة الفرح — لذّة بلا ذنب، وسلام بلا قلق، وفرح بلا انقطاع، كلّ ذلك لأن الخطيّة والألم والخوف والعار ستزول ونحيا في حضور الله بلا انقطاع. هذا ليس مُملًا؛ بل مُذهِل.

٣. الكتاب لا يقول إننا نطوف كأشباح

كثيرون يتصوّرون السماء وجودًا ضبابيًا، روحيًا فقط — نطوف إلى الأبد كضبابٍ مقدّس. لكنّ الكتاب يعلم بقيامه الجسد، لا بشبحيّة أبدية. يقول بولس إن الجسد «يُزْرَعُ فِي فساد» و«يُقام في عدم فساد»، بل «يُقام جِسْمًا رُوحَانِيًّا» (١ كورنثوس ١٥: ٤٤) — و«جسم روحاني» لا يعني غير ماديّ، بل مُمكنًا بالروح: جسدٌ حقيقيّ، مُحيى تمامًا ومُكَمَّل بروح الله. وأوضح دليل هو يسوع نفسه: بعد القيامة لم يطّف بين الغيوم — بل مشى، وتكلّم، وأكل سمكًا، وأمكن لمسّه. «انْظُرُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ: إِنَِّّي أَنَا هُوَ! جُسُوبِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي» (لوقا ٢٤: ٣٩). كان جسده المُقام ماديًّا لكن مُكَمَّلًا، معروفاً لكن مُمَجَّدًا — وهو نموذج جسدينا. السماء ليست أقلّ ماديّة من الأرض؛ بل أكثر — أكثر صلابةً، وأكثر حياةً، وأكثر واقعيّة، بلا فسادٍ ولا مرضٍ ولا حدّ. لا نستبدل أجسادًا بغيوم؛ بل نستبدل أجسادًا مكسورةً بأجسادٍ مُقامة.

٤. الكتاب لا يقول إن الجميع يذهبون إلى السماء تلقائيًا

قد يكون هذا أكثر الافتراضات شيوعًا وخطورة — أن مَنْ كان صالحًا بما يكفي، أو مخلصًا بما يكفي، أو لطيفًا بما يكفي، فالسما هي الوجهة الافتراضيّة. لكنّ الكتاب لا يقول قطّ إن الصالحين يذهبون إلى السماء؛ بل يقول إن المغفور لهم يذهبون. «لَأَتَّكُم بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ. هُوَ عَطِيَّةُ اللَّهِ. لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلًا يَنْتَجِرَ أَحَدٌ» (أفسس ٢: ٨-٩). السماء لا تُكتسب، بل تُقبَل؛ ليست أجرة، بل هديّة. محاولة دفع ثمن هديّة دفع ثمنها بالكامل لا تُكرّم المُعطي — بل تُهينه. دفع يسوع الثمن كاملاً على الصليب، والنعمة تقول: «أنت لا تدفع؛ أنت تقبل». وهذا الافتراض خطيرٌ لسبب بسيط: لو ذهب الجميع تلقائيًا إلى السماء، لكان الصليب بلا داعٍ ولما احتاج يسوع أن يموت. تقول البشارة إن السماء متاحة لأيّ أحد — لا بالاستحقاق بل بالإيمان، لا بما فعلناه بل بالثقة بما فعله المسيح مسبقًا. السماء ليست مكافأةً للبرار؛ بل هديّة تُقدّم مجانًا لكل من يقبلها.

٥. الكتاب لا يقول إن الأحباء يسهرون علينا من السماء

هذه نقطة حساسة، لأن كثيرين يعيشون مؤمنين بأن حبيبًا راحلاً يسهر عليهم — إيمانٌ عادةً لا ينبع من لاهوتٍ خاطئ، بل من رغبةٍ عميقة في التعزية. لكن الكتاب يوجّهنا إلى ما هو أعظم. تعزيتنا لا تأتي من الأحباء الراحلين؛ بل من الروح القدس، الذي يُدعى المُعزّي. وحين يموت المؤمنون، لا يكون تركيز الكتاب على مراقبتهم لنا — بل على كونهم مع المسيح: «فَتَيَقُّوْا وَتُسَرُّوْا بِالْأَوَّلَى أَنْ تَتَغَرَّبَ عَنِ الْجَسَدِ وَتَسْتَوِطِنَ عِنْدَ الرَّبِّ» (٢ كورنثوس ٥: ٨). لاحظ أين التركيز — لا على الأرض ولا على أمورٍ لم تكتمل، بل مستوطنين عند الرب، مكتفين تمامًا ومتوجهين إليه بالكامل. تخيل من هو في اللقاء الذي انتظره طوال حياته: لا يراقب الزاوية بقلق، بل مستغرقٌ تمامًا في الفرح الذي أمامه. تلك هي الصورة الأفضل — والرجاء المخفي فيها أنه ليس أن أحباءنا يهتمون أقل، بل أنهم يختبرون ما هو أفضل بكثير، بلا قلقٍ ولا حزنٍ ولا اشتياق. تعزيتنا تأتي من المسيح السائر معنا الآن، ومن معرفة أن من ماتوا فيه هم معه اليوم.

٦. الكتاب لا يقول إن السماء «هناك في العلى» إلى الأبد

يتصوّر معظم الناس السماء مكانًا بعيدًا — عاليًا فوق الغيوم، منفصلًا عن الحياة الواقعية — وكأن الأرض هي ما نحتلمه والسماء ما نهرب إليه. لكن الكتاب يروي قصّة مختلفة: السماء لا تبقى بعيدة، السماء تنزل. «وَأَنَا يُوْحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِيْنَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيْدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ... هُوَذَا مَسْكُنُ اللَّهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ» (رؤيا ٢١: ٣). لاحظ الاتجاه — لا تطوف بعيدًا عن الخليقة؛ بل الله يتحرّك نحوها. لا يتخلّى عن العالم الذي صنعه، بل يرمّمه. حين يحترق بيتٌ حتى الأساس، يمكنك أن تهدمه وتنسى أنه وُجد، أو أن تعيد بناءه أقوى وأفضل على الأساس نفسه — والله يختار الترميم. لم يكن هدف البشارة قطّ الهروب؛ بل كان دائمًا الترميم. لا ينتهي الكتاب بنفوسٍ تطوف صاعدة؛ بل ينتهي بمدينةٍ نازلة، والله يدخل ليسكن، والخليقة تُشفى، والبشريّة أخيرًا في الوطن. وهنا يصير الأمر شخصيًا: الإله نفسه الذي يعد بترميم الخليقة يشترك أن يُرمّمك أنت. كسرت الخطيئة علاقتنا بالله كما تُدمّر النار بيتًا، لكن رده لم يكن التخلّي — بل الإنقاذ. من خلال يسوع يقدّم الغفران حيث الذنب، وحياة جديدة حيث الموت، ورجاء حيث اليأس — لا يُدخلك السماء يومًا ما فحسب، بل يُرمّمك إلى نفسه لتحيا معه إلى الأبد.

أسئلة للتأمل

1. أيّ خرافةٍ من هذه الخرافات الست عن السماء كنت تؤمن بها سرًّا — وكيف تُغيّر الصورة الكتابية طريقة تفكيرك في الأبدية؟
2. «إن اختُزلت السماء إلى رسمٍ كرتونيّ، فلن تشترك إليها أبدًا». هل أضعفت نظرةً صغيرة أو مشوّهة للسماء اشتياقك إلى أن تعيش لأجلها وتدعو إليها آخرين؟ ماذا ستشير فيك نظرة أكبر وأصدق؟
3. السماء «هديةٌ تُقدّم مجانًا لكل من يقبلها» — لا تُكتسب، بل تُقبَل. هل قبلتها حقًا بالإيمان بما فعله المسيح، أم كنت تحاول أن تكتسبها؟ كيف سيبدو أن تكفّ عن الدفع وتبدأ بالقبول؟
